



03 شعبان 1435 هـ ـ 01 / 06 / 2014 م

www.ommaty1401.blogspot.com

لا يكاد يخلو حديث لي عن الأمة، وإحياء الأمة، وعودة الأمة... إلخ، ومن عادتي – ومن الله الفضل – أن أكتب بطريقة واضحة، مباشرة، أحاول ألا تحوي أي نوع من اللبس أو الغموض أو التأويل، وكنت أظن أن ذكري للأمة.. مصطلحاً مفهوماً لدى القارئ، وإذ بي أتفاجأ أن أحداً يسأل، **ما هي الأمة؟!** فجاء هذا المقال ليعرف ما هي الأمة، وما المقصود بها، وما هو تكوينها، وطبيعتها؟

فما هي الأمة التي نقصدها؟

هي الأمة المسلمة التي سينادي نبيها ﷺ ربه يوم القيامة: أمتي.. أمتي، في الوقت الذي سينادي كل نبي ربه: نفسي.. نفسي. أي: نقصد بالأمة كل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، كل موحد بالله.. تجمعنا به وشائج العقيدة، وأواصر المحبة، وأخوة الإيمان.

ولكن هذه الأمة انحرفت عن كتابها، ومنهج ربها، وسنة نبيها ﷺ، وغرقت في العلمانية، واتبعت الشهوات، وقتل بعضها بعضا، وصار همها البطن والفرج.. فهل مازلت تقصد بالأمة هذا الغثاء؟

نعم.. بالطبع مازلت أقصد هذه الأمة مهما بلغ بها الانحراف، والسوء، والغثائية، مازلت أقصد أولئك الذين تربى آبائهم وأجدادهم على مناهج علمانية مناقضة للإسلام، مازلت أقصد هؤلاء؛ لأن هدف هذا الدين: هو **الإنسان**.. مهما بلغ به السوء، ومجال عمله: هو **الواقع**.. مهما انحرف هذا الواقع.

وهذا هو حال الأنبياء مع قومهم:

نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أتى قومه فآذوه أشد ما يكون الإيذاء، بل وقتلوا الأنبياء من بعده! وعبدوا العجل.. بعد أن فشلت محاولة عبادة الأصنام! واستنكفوا عن طريق الجهاد، ودخول الأرض المقدسة... إلخ مما ذكره القرآن الكريم عن بني إسرائيل.

فماذا يفعل النبي الكريم مع قومه؟ لا شيء سوى الدعوة والتذكير والبشرى والنذير الذي لا ينقطع، ذلك أن النبي في أصل إرساله: هو "الرحمة" الرحمة بهؤلاء القوم، وتلك الأمة التي أرسله الله إليها، فحُجة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قائمة على كل عباده بدون إرسال رسل، وإنزال كتب، وما إرسال الرسل إلا رحمة للإنسان،

وتذكير له بعهده مع الله، وتيسير طريق الهداية له: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف : 172]

إنَّ النبي الكريم وخلفاء الأنبياء والمصلحين من بعدهم لا يختارون نوعية البشر التي يدعونها! ولا يشترطون – وحاشاهم من ذلك – على الله أن يكون قومهم ذوات صفات حسنة، وطبائع مؤمنة.. وإلا فما هو دور الأنبياء؟ وكيف يقع الابتلاء؟ وأين يذهب التدافع بين الحق والباطل؟ إذن لابد من مواجهة طبائع النفوس، واختلاف الاستعدادات، ومواجهة الخير والشر سواء.

وموسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يعاني من قومه أشد المعاناة، ويشتكي لربه منهم، ولا يرى أثر دعوته، وجهاده معهم.. بل ويموت النبي الكريم دون أن يرى ثمرة دعوته ! لأن رؤية (ثمرة الدعوة) ليست من اختصاص ومهام الأنبياء.. إن مهمتهم هي الدعوة، والبشرى والنذير، وبيان صراط الله المستقيم، وأما ثمرة الدعوة فهذه تحكمها سنن الله في المجتمعات والإنسان.. التي غالباً ما تحتاج إلى أكثر من جيل لرؤية آثارها ونتائجها..

فالنبي عندما يأتي قومه.. تكون هناك:

- **فئة محاربة وعدوة له، وهم الطغاة والطواغيت والملأ المرتبطة مصالحهم المادية والمعنوية مع هؤلاء الطغاة.**
- **وفئة من كبار السن تكلّست عقولهم على الرضى بالأمر الواقع، والاستسلام للظروف المحيطة.**
- **وفئة – وغالبا من الشباب – تكون متحفزة للدعوة الجديدة وأكثر قدرة على الاستماع والاستجابة.**
- **وفئة من الرعاع والدهماء تكون خدماً للطغاة والطواغيت..**

يأتي النبي في هذا الخليط المتنوع من المجتمع، ويبدأ رحلة الدعوة التي تُحارب بكل وسيلة، فيؤمن من يؤمن، ويكفر من يكفر.. ويرحل النبي بعد أن أدى رسالته، وترك غرسه في تربة صالحة، تظل تنمو بعد

رحيله، وتأخذ من الوقت ما هو مقدر لها عند الله، وما هو موافق للسنن؛ حتى يخرج الجيل الذي يفتح الله به الأرض، ويُمكن به لعباده ودينه.. كما حدث مع الجيل - من بني إسرائيل - الذي فتح الأرض المقدسة، والعجيب في ذلك :أنه رغم خروج جيل قوي مؤمن من تيه الصحراء خلال أربعين سنة، نجد أن آثار الذل، وأمراض الاستبداد كانت ما تزال كامنة في بعض النفوس.. ولم يكن هو التطهير الكامل والخلوص التام لله جَلَّجَلَالُهُ ! الأمر الذي يجعلنا نضع في حساباتنا وتوقعاتنا: وجود فئة تتنكر للمؤمنين، وتتنكر للجهاد.. وفتح الأرض المقدسة مهما بلغ شأن الدعوة !

هناك نبي يأس من قومه، فبعد أن دعاهم.. لم ير منهم استجابة، فظن أنهم لن يؤمنوا، فغضب منهم.. ورحل عنهم ! لقد كان يونس عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ يرى من منظوره هو.. يرى أنه يحمل الحق من رب العالمين، إلى مخلوقات خلقها رب العالمين.. ومعه من الدلائل والبينات ما يقيم به الحُجة على قومه، وما يؤكد به صدق دعوته، ورسالته.. فكيف لا يؤمنون؟! وماذا يفعل لهم أكثر من ذلك حتى يؤمنوا؟!! أولا يكفيهم كل أولئك؟

لقد ضاق بهم ذرعا.. وظن أن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لن يُضيق عليه أكثر من ذلك، فوجد النبي الكريم نفسه في ظلمات الحوت، وظلمات البحر، وظلمات الليل.. فنادى في الظلمات: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء : 87].. ثم عاد إلى قومه فإذا بهم قد آمنوا ! ثم هم آمنوا في اللحظة الأخيرة قبل وقوع العذاب.. واهتزت أجهزة الاستقبال الفطرية لديهم فتابوا، ولكننا لا ندري متى تنتفض تلك القلوب لهذه الدعوة، وتستجيب؟ متى تنفض عن نفسها ركام الجاهلية وأدرانها؟ ومتى يهدي الله من يشاء من عباده إلى صراطه المستقيم؟ ومتى تقع سنة الإيمان والهداية في النفوس؟

لذا تظل الدعوة قائمة، والرسالة دائمة، واليأس منعدم، والمحاولة مستمرة، والقلوب بين يدي الرحمن جَلَّجَلَالُهُ يُقلبها كيف يشاء !

ونذكر في هذا المقام موقف سحرة فرعون إذ يقولون له: ﴿إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الأعراف: 113] ها هم يقفون بجانب فرعون يطلبون المال والقربان، ويتحدون نبياً من أولي العزم من الرسل! وإذ بهم في لحظات قليلة يتحولون إلى الإيمان الخالص بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في مفاجأة لكل الإنسانية، كيف يتحول سحرة فرعون، وأكثرهم خبرة وعملاً بالسحر هذا التحول؟! إن معجزات موسى عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ لم تكن هذه أولها فقد سبقها معجزات كثيرة، لمَ هذه بالذات؟! الله أعلم حيث يجعل هدايته، وحيث يختار أولياءه..

ثم إنهم لم يتحولوا إلى مجرد مؤمنين برسالة موسى – كبني إسرائيل التي آمنت على خوف من فرعون وملئه أن يفتنهم – كلا، بل إنها أعلى مراتب الإيمان، لقد قال فرعون للسحرة رداً على إيمانهم: ﴿ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى ﴾[طه : 71] فكان جوابهم: ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِى فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه :72، 73]

هذا المستوى السامق من الإيمان، من كان يدري أن سحرة فرعون ستصل إليه؟! لا أحد سوى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.. الذي قدّر أن تظل الدعوة قائمة، والرسالة دائمة.. فلا نمل من الناس، ولا نيأس منهم، ومن يدري: لعل فيهم من الإيمان، أكثر ممن يدعو الناس!

وهنا نصل إلى مفخرة الإنسانية كلها، وصاحب المقام الرفيع.. الذي شرّف الله جَلَّجَلَالُهُ به الجنس البشري كله: محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ..

لقد لقي محمد ﷺ من قومه التكذيب المعهود كما حدث مع كل رسول قبله، لكن قومه كانوا من الكبر والتعنت والصلف والغرور ما يفوق التصور! وكانت تحكمهم عادات جاهلية وقبلية تصطدم برسالة الإسلام العالمية.. واتهموه بكل نقصيه ﷺ وحاصروه، وحاصروا دعوته، وقتلوا اتباعه، وهجّروهم، وتآمروا لقتله، وقذفوه بالحجارة حتى أدميت قدماه ﷺ ، وجاءه ملك الجبال يقول له: إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ" جبلين بمكة، يعني: هلاكهم كلهم.

وهنا يأتي فضل الرسالة المحمدية ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ﴾[الإسراء : 55] هنا يأتي المستوى السامق من دعوة محمد ﷺ ، فيكون جواب النبي الكريم، والرحمة المهداة: "بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا" [صحيح مسلم/ 1795] ها هو النبي الكريم لا ينظر إلى التكذيب، والإعراض، والاعتداء.. إنه مشغول بالرسالة، وقد كان.. لقد خرجت خير أمة أُخرجت للناس، فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الرحمة المهداة، وصدق الله العظيم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : 107]

لقد خيره الله جَلَّ جَلَالُهُ بين قدره الكوني في إهلاكهم، وبين قدره الشرعي في سنة الدعوات وما فيها من ابتلاءات ومعاناة وجهاد، فاختار قدره الشرعي، ومضى فيه.. حتى أتم الرسالة، وبلّغ الأمانة، بل وأقام دولة.. وأخرج جيلاً فريداً حمل هذا الدين إلى أن وصل مشارق الأرض ومغاربها.

إذن الأنبياء – صلوات الله عليه أجمعين – لم يأتوا قومهم فوجودهم:

- **في انتظارهم..**
- **أو أعطوهم القدر اللازم، والمكانة المستحقة..**
- **أو حتى استمعوا إلى دعوتهم باهتمام، وتمعن..**
- **أو حتى سمحوا لهم أن يمارسوا دعوتهم، ومن شاء فليؤمن..**

كلا لم يحدث شيء من ذلك، بل كان هو:

- **التكذيب والإعراض.**
- **والاتهام والسباب.**
- **والتهديد والقتل.**
- **والسخرية والاستهزاء.**

ومع ذلك أمرهم الله بالدعوة المستمرة، والبلاغ المبين، والتذكير والبشرى والنذير.. حتى يفتح الله بينهم وبين قومهم بالحق، سبحانه.

***

نجد اليوم من يقول: انظر إلى هذه الأمة التي تتحدث عنها، انظر انغماسها في الشهوات، والضلال، والعبث، والتيه؟! هذه أمة لن يرتجى من ورائها خير، وإنا قد دعونها فلم تستجب، فنحن إذن لا علاقة لنا بها، وسنذهب نقيم الدين وحدنا بجماعتنا نحن! ولا حاجة لنا بتلك الأمة التي لا يشغل بالها إلا البطن والفرج!!

وهؤلاء لا يفهمون دعوة الرسل، وسنة الدعوات، وسنن التغيير، والإحياء..

إنهم ينظرون إلى القشرة الخارجية فيهُولهم القيء والصديد والعفن، يفزعهم الركام والتراب والقاذورات، ويعجزون أن يروا الكنز الذي بالداخل، فيزهدوا في الأمة، وييأسوا منها كما يأس صاحب الحوت أول مرة.

وهم ليسوا بالأنبياء ولا بالرسل، ولا هم مؤيدون بالوحي.. أي: كل عوامل النقص، والضعف، والهوى، واقعة وكامنة في نفوس من يدعو الناس:

فهل أهل الدعوة اتبعوا طريق الرسل دون انحراف؟

هل حملوا الرسالة كاملة، أم حملوا "أيديولوجيات خاصة" ذات "عصبية ذاتية وفكرية"؟

هل مهدوا الطريق لقومهم، وخاطبوهم باللغة التي تدركها عقولهم؟

هل كانوا من الرحمة والعطف واللطف والحنان بضعفهم، وجهلهم؟

هل كانوا من الحرص الشديد على هداياتهم، وطرق كل سبيل لذلك، دون انتظار جزاء أو شكرٍ؟

هل أدركوا سنن الله في التغيير، والإحياء.. ومضوا في طريق السنن؟

هل أدركوا واقع أمتهم حق الإدراك، واستبينوا سُبل المجرمين الذين يصدون الناس عن الهدى؟

هل كانوا هم أنفسهم قدوة ومثالاً يُحتذى به، فيكون حالهم وأخلاقهم وواقعهم أبلغ وأصدق دعوة؟

لقد حمل الأنبياء الرسالة كاملة، ومهدوا الطريق لقومهم، بل وأتوهم بالمعجزات، وكانوا من الرحمة والعطف والحنان والحرص عليهم.. ومع ذلك كذبوهم ! ومع ذلك لم ييأسوا منهم ! فبلغت الدعوة تمامها، وتمحص المؤمنين، وتبين الكافرين، وتَزيل الفريقان حتى جاء أمر الله.. إما بالتمكين للمؤمنين – إذا تحققت سنن التمكين – وإما بالنصر باتخاذ الشهداء، وهو: انتصار العقيدة على الألم، والإيمان على الفتنة، والروح على المادة.

* * *

إنَّ المستقبل لهذا الدين، وإن المستقبل كذلك للأمة المسلمة.. وهي قوة هائلة، وثروة عظيمة فقط عندما تعتصم بحبل الله، ولا تتفرق في الدين، وهذه مهمة أصحاب الدعوات والعلماء الممسكون بالكتاب، المُبلغون كامل الرسالات.

والأمة الآن في غربة عن دينها وكتابها، وتحت حصار علماني منذ أكثر من مائتي سنة، وتعيش منذ أمد بعيد ظروف قاسية، وظالمة، ومُستبد بها حتى تفشت فيها كل أمراض الاستبداد، وصار حالها أشبه ببني إسرائيل في الطبائع والنفوس ! ولعل هذه أحد الأسباب التي جعلت القرآن الكريم يُفصل حال بني إسرائيل تفصيلاً؛ إذ هو أكثر القصص ذكراً في القرآن الكريم، وذلك لتحذر الأمة المسلمة من أن يصير حالها إلى ما صارت إليه بني إسرائيل.. وإذا صارت – لا قدر الله – فهذا لا يعني اليأس، ولا انقطاع الدعوة، ولا القعود عن إحياء الأمة.

إن الأمة الآن في مرحلة "الملك الجبري والطواغيت" ويتم - بشكل مُمنهج - عملية تجريف روحي، ومادي، وإنساني لها من كل طريق، وإن العدو الصليبي واليهودي لا يترك وسيلة لإفسادها إلا وفعل.. هذا ليس تبريراً لجُرم المجرم، ولكن إدراكاً للحال، وتوقع المآل، والحماية من الصدمة عند ممارسة الدعوة..

وإنَّ المستقبل للخلافة الراشدة - إن شاء الله - كما جاء في الحديث الشريف، ونحن في تلك المسافة بين الحكم الجبري والطواغيت، وبين الخلافة الراشدة في:

- **عمل لا ينقطع، ودعوة لا تنتهي، ورسالة لن تموت.**
- **وفي محاولة لإدراك الفقه اللازم للمرور من الملك الجبري للخلافة الراشدة.**
- **وفي محاولة لإحياء الأمة، حتى تتحقق سنة الله في تغيير ما بـ (القوم) فهي سنة أمة، وليست سنة فرد.**
- **وفي محاولة إحصاء وتحديد كل ما بأنفس القوم من تصورات وقيم وموازين وأفكار باطلة، والعمل على استبدالها بالتصور الإسلامي الرباني الصحيح.**
- **وفي محاولة لمعالجة أمراض الاستبداد التي تُقعد الأمة عن دخول أرضها المقدسة، كما أقعدت تلك الأمراض بني إسرائيل من قبل.**
- **وفي محاولة لنزع فتيل الشقاق والنفاق والسمعة والرياء، والمتاجرة بالكتاب، وبيع آياته بثمن قليل.**
- **وفي محاولة لتطهير القلوب من الغل، والحسد، والبغضاء التي تحلق الدين، وتُفشل أي محاولة للاجتماع والاعتصام بالكتاب.**

- وفي محاولة للتقرب من الناس، وفهم بواعثهم، ونفسياتهم، وطبائعهم، وأفكارهم، وما آل إليه حالهم، ونكون من الحب والحرص المجرد من أي مصلحة مادية أو معنوية، ولا نَمل من دعوتهم مهما بلغ الأذى منهم.
- وفي محاولة لاستبانة كل سبل المجرمين، والمنافقين، وبيانهم للناس حتى يحذروهم.
- وفي محاولة لفهم مداخل النفوس، وأدوات التأثير، والتوجيه حتى نستغلها في دعوة الناس إلى الحق.
- وفي محاولة الإهابة بالأمة؛ لحمل رسالتها، وتحكيم شرع ربها، والإهابة بالاعتصام بحبل النجاة الممدود من الله جَلَّجَلَالُهُ إليها.. والنذير من أن عذاب الله لواقع ما له من دافع، وليس للإنسان إلا ما سعى.
- وفي محاولة اختراق كافة فئات المجتمع، وغرس بذور الرسالة، والحق، واستثارة الخير الذي في النفوس، وكبح جماح الشر.
- وفي محاولة استنفار "كل" طاقات الأمة مروراً بالمفكرين والمبدعين، وأهل العلم والمال والفضل، حتى ابتسامة الطفل الصغير، ودعاء الأم العجوز في جوف الليل.
- وفي محاولة للتمكن من القوة، فالحق المجرد من القوة لا يُغري أصحاب النفوس الضعيفة.. وما أكثرهم!
- وفي محاولة لتهيئة الواقع والحياة وتطهيره من كل دنس؛ حتى يكون مؤهلاً للدعوة.
- وفي محاولة لتربية النفوس، وتعبأة القلوب، واكتشاف الطاقات؛ لتحمل ديناها، وتقوم برسالتها.
- وفي محاولة لتأمين ما نستطيعه من حاجات الناس المادية، وعدم تحميلهم ما لا يطيقون، وتوفير ما يكمن من حياة كريمة لهم.

ومع كل هذه المحاولات، ودرجة ما ينجح منها.. لا نتوقع، ولا ننتظر إلا فضل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ورحمته، بل ونتوقع آثار بقايا الجاهلية، وما تركته من انحرافات سلوكية ونفسية، حتى لا ييأس الداعية.. أو يُصدم فيما لا يتوقعه ! على أن الخير في أمة محمد ﷺ عظيم، وفي جعبتها الكثير، وهي – والله – كنز كبير يحتاج فقط إلى مهرة في فتح هذا الكنز.. والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو الذي يفتح القلوب.

***

وإنَّ الأمة الآن ليست بحاجة:

- **ليست بحاجة إلى أشخاص – أياً كانوا – ليمارسوا عليها دور "المسيطر"، فهذه صورة تُوحي بالاستبداد لا تناسب ما تتأهل له الأمة من خلافة راشدة.**

- **ليست بحاجة إلى أشخاص متعصبة "عصبية ذاتية وفكرية" تجاه حزب أو مذهب أو جماعة، بل بحاجة إلى كامل الرسالة: بربانيتها، وشمولها، واتساعها، وواقعيتها، وإيجابيتها، وتوازنها، ومثاليتها؛ فالأمة لا يمكن أن تجتمع إلا على الكتاب، ولا يمكن أن تعتصم إلا بحبل الله، ولن تحصل على حقوقها بمعزل عن دينها وكتاب ربها.**

- **ليست بحاجة إلى من يقسو عليها، ويعايرها، ويذلها.. بل تحتاج إلى حنان الأنبياء، ورحمة الرسل، تحتاج إلى من يأخذها برفق، ولين، ويُفهمها بهدوء، ويستمع إلى مشكلاتها بوعي، ويقدم طريق العلاج عن علم ومعرفة.**

- **ليست بحاجة إلى من يحملها على حق – لم تعرفه من قبل – جملة واحدة، فلا تقوى عليه.. فتتركه وتنفر منه !!**

إنَّ الأمة بحاجة إلى:

إحياء: بعد حالة الوفاة، يبدأ جنيناً ثم رضيعاً ثم طفلاً ثم صبياً ثم شباباً يجدد للأمة دينها، ومكانتها، ورسالتها.

رحمة: ترأف بحالها، وواقعها، ومشكلاتها، وقضاياها.

دفاع: عن حقوقها، وثرواتها، وأرضيها.

دعوة: تُبين لها الإسلام – في غربته الثانية – وتعيد روحه إلى الأمة، كما جاء أول مرة.

سياسة: تقتنص حقوق الأمة، وتنتصر لقضاياها، وتُعرف بها، وتحفظ مكانتها.

جهاد: تدفع به كل طاغوت، ومجرم، ومعتدٍ.

فقه: يُخرجها من حالة الملك الجبري، والطواغيت.

عمل: بلا جزاء، ولا شكور.

وحدة: تجمع شتاتها، ودينها، ورسالتها، وأرضها.

رجال: لا ينتظرون ثمرة انتصار هذا الدين على أيديهم، بل يغرسون الرسالة في قلوب الأجيال.

❋ ❋ ❋

مكونات الأمة (من الناحية الاجتماعية):

القاعدة الصلبة: وهم الرواد حملة الرسالة، والعلماء الممسكون بالكتاب، والقادة الربانيون، والشباب المغروس في قلبه بذور الرسالة.

الكتلة الحرجة: هي الكتلة المستجيبة للرواد والعلماء والقادة، وتمثل بحجمها وحركتها "كتلة حرجة" في التغيير عندما تصل إليها يحدث "التحول" الاجتماعي.

التيار العام: وهو التيار الذي يؤيد عاطفياً حملة الرسالة، ولا يُنشئ حركة، وإنما يستجيب للحركة، وينزل الساحة بعد بدأ المعركة. أو في أوسطها.

عموم المجتمع: هو خليط متنوع واسع، يستجيب بصورة كبيرة للتأثير الإعلامي، وأدوات التوجيه، وهو صعب الحركة، ضعيف الاستجابة، قد ينزل للمعركة في مرحلتها الأخيرة، ويشارك الأفراح والنصر، ويستجيب عندما يتم التمكين للرسالة.

الكتلة السلبية: وهي الكتلة التي تمكن منها المرض، وأقعدها التشوه النفسي.. عن الاستجابة لشيء، فتعطلت أجهزة الاستقبال لديها. ولا تُمثل برأيها أي تأثير يذكر؛ لأنها في الأساس سلبية.

أي محاولة للقفز بين هذه الكتل، أو سوء التقدير في حجم كل كتلة، أو عدم العمل على كل كتلة بصورة دقيقة ومناسبة لدور كل كتلة؛ يُفسد كافة محاولات الإحياء والخروج بالأمة من الحكم الجبري إلى الخلافة الراشدة، ومن التيه والظلمات إلى الرشد والنور.

وإنَّ كثيراً من المشكلات الدعوية والحركية والفكرية، تحدث عندما يُخاطب أحد – مثلاً – "الكتلة السلبية" على أنها "الكتلة الحرجة" أو على أساس أنها "التيار العام" فيتوقع استجابة لن تحدث؛ فتقع حالة من اليأس والصدمة التي تنعكس على الأداء، وتحرق كثيراً من الجهد والعمل!

ومن هذا الإيضاح لمكونات الأمة – من الناحية الاجتماعية – يظهر معنى مدلول "الشورى" ودرجتها، وأنها تصور مرن.. وليس جامداً – كالديمقراطية صاحبة عدّ الرؤوس – ولكن الشورى هي عدّ ما تحمل الرؤوس من رسالة، وإنها – أي الشورى من ناحيتها الاجتماعية – تَعتبر درجات الكتلة الصلبة والحرجة والتيار العام وعموم المجتمع، ولا تنشغل كثيراً بالكتلة السلبية..

ولكنها في ذات الوقت تعمل على إحياء كل الأمة وتحويلها إلى "كتلة صلبة" وقاعدة قوية، ولا تتحول إلى "طبقية" تحافظ على "الحدود" بين الطبقات، وتحافظ على "امتياز" كل طبقة، فهذه أوضح صور الجاهلية.. أما الإسلام وتصوره يعمل على رفع الإنسان إلى أعلى مراتب الإيمان، ويُفسح الطريق للأكثر إيماناً وعلماً وعملاً.. دونما اعتبار لحزبه أو قومه أو جنسه. وبذلك يظهر بلاء الناس وعملهم وإتقانهم من خلال الواقع والعمل والتجربة، وليس من خلال دعاية كاذبة يدفعها صاحب المال ليشتري بها "سياسي دجال" يحافظ على امتيازات صاحب المال.

وإنَّ **القاعدة الصلبة**: أي حملة الرسالة لا ينقطعون – بفضل الله سبحانه – من أمة محمد ﷺ، وتظل طائفة تحمل الحق إلى يوم الدين، يقل عددها وتأثيرها نعم، لكن تظل باقية بإذن الله.

وإنَّ **الكتلة الحرجة**: تمثل بعددها وتفاعلها "**نقطة التحول**" في حركة الأمة كلها، وإن العمل على إخراج الكتلة الحرجة هذه، والحفاظ عليها، وعدم الدفع بها قبل تمامها، وإعدادها الإعداد الكامل والتهيئة المناسبة لدورها؛ هو الذي يحفظ مسيرة الدعوة والجهاد، ويحفظنا كذلك من حروب الاستنزاف الغير متكافئة في معارك وهمية جانبية.

والكتلة الحرجة والتيار العام نصل إليهما بعد حالة التشبع الاجتماعي من الدعوة، وطبيعة الاستجابة لها.[1]

---

(1) يراجع مقال: التشبع الاجتماعي.

وإذا كانت الأمة اليوم تعيش في الشتات، وتحدها الحدود، والسدود.. فإن هذا لا يمنع العمل ضمن مشاريع محلية، وإقليمية، وعالمية لا تتصارع أو تتضاد فيما بينها.. وإنما تكون من التكامل والتوازن والمرونة ما يُحفظ به جميع الجهود في كل الاتجاهات.. ويكون لجميع المشاريع "استراتيجية عالمية" تتناسب وحجم ودور الأمة، وما ستكلف به من مهام.

وبقدر ظلام الطاغوت، وبقدر عذابات الناس..

سيعود الإنسان.. سيعود شديد الإيمان.

ستعود الأمة.. ستعود شديدة الإسلام.

سنعود في اللحظة التي ندرك فيها حاجتنا لهذ الدين، وعدم التحول عنه لما سواه.. عندما نتذوق عظمة هذا الدين، والإيمان بقدرته على رفع ذكرنا في العالمين.. عندما نؤمن حقاً أننا لسنا بحاجة إلى غيره من مناهج وأفكار..

عندما يأكلنا التيه، وتحرقنا الغربة، ويشتد بنا العطش.. فتكون العودة لهذا الدين، أحب إلينا من الماء البارد على الظمأ.

❊ ❊ ❊

روابط ذات صلة:

- التشبع الاجتماعي.
- خريطة مراحل الواقع الإسلامي.
- الفرق بين الشخصية الرسالية والحزبية.